شرح قصيدة جادك الغيث

سوف نقوم من خلال ما سيأتي بشرح مجموعة مميزة من أبيات قصيدة جادك الغيث وهي الأبيات الشائعة والمنتشرة من هذه القصيدة وخاصة تلك التي تم غناؤها من قبل الأشخاص الذين أنشدوا هذه القصيدة الأندلسية الرائعة:

- **جادَكَ الغَيْثُ إذا الغَيْثُ هَمى * * * يا زَمانَ الوصْلِ بالأندَلُسِ**
  لمْ يكُنْ وصْلُكَ إلاّ حُلُمًا * * *في الكَرَى أو خِلسَةَ المُخْتَلِسِ

في مطلع القصيدة يدعو الشاعر لأيامه الجميلة التي قضاها في غرناطة حيث سقيا المطر والغيث الرائع الذي كان يهمي عليه في تلك البلاد الجميلة الرائعة، في زمان الوصل عندما كان في الأندلس، ثمّ يقول: كأنّ ذلك الوصل لم يكن سوى حلمًا في ليلة أو كأنّه سُرق واختلس في غفلة منه.

- **إذْ يقودُ الدّهْرُ أشْتاتَ المُنَى * * *تنْقُلُ الخَطْوَ علَى ما يُرْسَمُ**
  زُفَراً بيْنَ فُرادَى وثُنَى * * *مثْلَما يدْعو الوفودَ الموْسِمُ
  والحَيا قدْ جلّلَ الرّوضَ سَنا * * *فثُغورُ الزّهْرِ فيهِ تبْسِمُ

يستمر الشاعر في عرض ذكرياته، فيقول إنّ الدهر كان يحقق الأماني فتسير الخطوات على ما رسم لها الإنسان، وكانت الأمنيات والأحلام تأتي في الموعد المرسوم لها لا تتأخر أبدًا، تأتي فرادى وجماعات كما تقبل الوفود على مكة المكرمة في موسم الحج في ميعادها الصحيح، ثم يقول إنّ الروض والحدائق في ذلك الوقت كانت مليئة بالضوء والسنا والشروق، وكأن ثغور الأزهار في غرناطة كانت تبتسم من شدة فرحها.

- **في لَيالٍ كتَمَتْ سرَّ الهَوى * * *بالدُّجَى لوْلا شُموسُ الغُرَرِ**
  مالَ نجْمُ الكأسِ فيها وهَوى * * *مُسْتَقيمَ السّيْرِ سعْدَ الأثَرِ
  وطَرٌ ما فيهِ منْ عيْبٍ سَوَى * * *أنّهُ مرّ كلَمْحِ البصَرِ

يذكر الشاعر تلك الليالي الرائعة التي كانت تكتم أسرار المحبين في الليالي لولا الشموس الغرر التي تطلع فتذيب العتمة وتشرق الروح من جديد، وفي تلك الليالي الساحر كانت غاية الإنسان مُحققة وليس فيها أي عيب إلّا أنّها وطر يمر سريعًا كلمح البصر، فيضي الإنسان حاجته بسرعة كبيرة.

- **يا أُهَيْلَ الحيّ منْ وادِي الغضا * * *وبقلْبي مسْكَنٌ أنْتُمْ بهِ**
  ضاقَ عَنْ وجْدي بكُمْ رحْبُ الفَضا * * *لا أبالِي شرْقُهُ منْ غَرْبِهِ
  فأعِيدوا عهْدَ أنْسٍ قدْ مضَى * * *تُعْتِقوا عانِيكُمُ منْ كرْبِهِ

ينادي الشاعر في هذه الأبيات أهل الحي في ذلك الوادي الذي كان يعيش فيه وهو وادي الغضا، يناديهم لأنّه يعرف أنّ لهم مكانة خاصة في قلبه، ثم يقول إنّ هذا الفضاء الواسع الرحب ضاق بشعوره فلم يعد يعرف الجهات ولم يعد يعرف شرق هذا الفضاء الواسع من غربه، ثم يخاطب أهله في ذلك الوادي، فيقول لهم: أرجعوا لي عهد الأنس الذي انقضى ومضى كي أنعتق من هذه الكرب والأحزان التي تتملكني.

- **ساحِرُ المُقْلَةِ معْسولُ اللّمى * * *جالَ في النّفسِ مَجالَ النّفَسِ**
  سدَّدَ السّهْمَ وسمّى ورَمى * * *ففؤادي نُهْبَةُ المُفْتَرِسِ

في هذه الأبيات يصف الشاعر لسان الدين بن الخطيب حبيبته، يصفها بأنّها كانت حوراء بشفاهها عسل وسكر، ثم يصف حبها كيف سرى في نفسه كما يسر النفس في الصدر، ثم يقول إنّ جمالها الساحر قد سدد السهم إلى صدره وسمى ثم رمى، فصار قلبه نهبة لهذا الجمال ووقع في شباك الحب.

- **لاعجٌ في أضْلُعي قدْ أُضْرِما * * *فهْيَ نارٌ في هَشيمِ اليَبَسِ**
  لمْ يدَعْ في مُهْجَتي إلا ذَما * * *كبَقاءِ الصُّبْحِ بعْدَ الغَلَسِ

يقول الشاعر في هذه الأبيات إن الجوى والهوى اشتعل في صدره وأضرم كأنه النار التي تُضرم في اليابس فيشتعل بسرعة، ويقول إنّ الحب لم يدع في روحه ومهجته إلّا العناء والألم، فمحا الألم في صدره كل جمال وبهاء كما يمحو الصبح بقايا العتمة عند طلوع الشمس.